الكرة ورأس الرجل

محمد حافظ رجب

قال الرجل الذى بلا رأس ..
للشرطى الواقف خلف سور الملعب :

ـ هل لك ان تساعدنى يا سيدى الشرطى .. لاسترد رأسى التى يلعبون بها داخل الملعب ؟

.... ومد الشرطى يده له .. ليتعلق بها قائلا :

ـ هيا بنا .. لنرى ما يمكننا عمله .

... المجلة التى اكتب فيها لم تعد موجودة ..

تركها الناس الذين كانوا السبب فى وجودها ..

.. صاروا فى صفوف طويلة .. نحو الكوبرى .. يعبرونه .. ثم يعشرون على الملعب ..

.. هناك يشترون ثمن المجلة .. تذاكر مباراة كرة القدم ..

.. فى البداية قال رئيس التحرير لنا :

ـ عدد النسخ المباعة تقل كل يوم ..

.. ره عليه محرر سمين .. له لسان طويل .. ويدخن نوعا من السجائر له رائحة تثير الاشمئزاز والتفكير فى وقت واحد .. قال :

ـ لكن عدد تذاكر مباراة كرة القدم .. يزيد .. وهذا هو المهم ..

عبس وجه رئيس التحرير .. وهجر ثم أجاب فى حزم :

ـ ولو ! لا يهم

.. ولم يبق الا أنا ورئيس التحرير العنيد ..

كان فوق عينيه نظارة بيضاء .. وأنا ليس اخرى

.. يبدو ان هناك سببا ما يربطهن الصاد والنظارات الطبية !

.. وتركنا المحررون الذين لايتعاملون مع النظارات .. وسيئهم المحرر (سليط اللسان) اصبح معلقا رياضيا .

.. ومع ذلك كان يزورنا بين الحين والحين ..

.. فى محله الآن سيجار ..

فى عروة الجاكتة قرنفلة حمراء ..

صاح فينا عندما رآنا :

ـ ياه ! لقد ما اصبحتما كالماهر ..

.. تحسست جلدي .. فتبينت انه قد أصبح خشنا ..

ونظمت الى رئيس التحرير فنظر الى بعجب وقال :

ـ لماذا تنظر الى هكذا ؟ عمه ؟.. ماه .. ماه ..

وتبينت أخيرا انه يشبه معزة حقيقية..

.. ووجدنا أنفسنا ذات يوم .. ونحن جالسان فوق برميل قديم .. مكان المطبعة التي بناها ..

قال رئيس التحرير :

ـ لا تتنفس .. ساعاود النضال من جديد .. امسح نظارتك .. سأدهب من فوري وأخترع شيئا .. وساجمع نقودا .. واصدر بها المجلة .. وأنت ماذا ستفعل ؟

وقبل ان ارد هبط علينا وميلينا السمين .. وقال :

ـ لماذا تقفان هكذا ؟

وعرف الأمر ..

قال لرئيس التحرير وهو يضحك ويدخل انفه في جيوب القرنفلة :

ـ يمكنني أن أجد لك عملا ..

قال رئيس التحرير وهو يحس بلسعة الاهانة :

ـ ماذا تشغلني ؟

قال وقد اختفى انفه داخل القرنفلة :

ـ تحمل كرة الفريق .. وتحرس ملابسهم !

... وهجر رئيس التحرير .. ومد يده بسرعة وتناول القرنفلة وبداخلها أنف المعلق الرياضي والقى بها على الأرض وسحقها بحذائه .

.. صرخ المعلق :

ـ انتظر .. انتظر .. انت تدهس انفي بحذائك .

قال رئيس التحرير :

ـ أحسنت !

ونظر الى وقال :

ـ وداعا .. أنا ذاهب لأجمع النقود .. سأرسل لك نموذجا من اختراعي على عنوانك والى اللقاء ..

وانصرف ..

.. تناول المعلق الرياضي انفه المهشم من الأرض واعاده الى مكانه .. وقال صاحكا وهو يضع ذراعه حول كتفي :

ـ لقد اصبح شرسا .. أما انت .. فانا احبك .. وعندي شيء لك .. عد .. انه .

.. ومنحني تذكرة مجانية لمشاهدة مباراة ستقام اليوم .. قال :

ـ انها اهم مباراة في هذا الموسم .. اذهب لتراها .

وأخرج من فمه السيجار الذي لم يشعله بعد .. وادخله في فمي :

ـ وخذ هذا ايضا ـ اشعله في الملعب .. انه من لوازم مشاهدة مباريات كرة القدم .. والى اللقاء ..

وانصرف ...

وقررت أن أذهب على الفور ..

... تبينت ان تذكرتي تسمح لي بالجلوس بين الناس الذين كانوا منذ زمن يشترون محلتنا .

.. كانوا وقتها ممجوبين براسي .. لكن ملامح وجوههم الآن تؤكد لي ان اعجابهم تحول عن راسي مسافة لا شك انها طويلة ..

.. فجأة دخل لاعبو احد الفريقين يحملون الكرة .

.. ولم تكد عيون الآلاف ترمقهما حتى قاموا صائحين في جنون ... وتحسست في تلك اللحظة رأسي ..

.. رحت اقارن بينها وبين الكرة ! الكرة مستديرة .. ورأسي هي الأخرى مستديرة .

.. ولسكن كل هؤلاء الناس المتحمسين حتى ثور الملعب .. يهتمون بالكرة أكثر من رأسي ..

.. ورحت أفكر في المسألة من كل ابعادها .. والناس من حولي يقومون ثم يقعدون .. ويصرخون .. ويعاودون الصمت من جديد .

.. وأخيرا حسمت أني لست موجودا .. وبالتالي فرأسي هي الأخرى غير موجودة .. ولأني غير موجود .. فقد مد رجل خلفي يده وشد شعرة من رأسي من فرط الحماس ليس الا ! فالتفت ورائي مندهشا عقال وهو يستعد للصراخ !

ـ معذرة .. حسبت رأسك معلقة في الهواء .

قلت وانا ارغب في محادثته !

ـ انها كذلك .. ولكنها تستحق الاعجاب ايضا .

.. لكنه لم يرد .. فقر الى أعلى وصرخ ! « جون » !

.. أدركت أن الامر يحتاج الى دفاع عن رأسي ! فنتيجة لغرامة مئات الكتب أصبحت رأسي مستديرة .. ولذلك أغرمت بها .. وعلى اذن أن انقل اعجاب كل هؤلاء اليها .. يجب أن ابين لهم الفرق بين رأسي والكرة .. وأيهما يستحق الاعجاب أكثر .

.. قمت واقفا .. فصاحت الفتاة حذرة ! اقعد .. اقعد .

.. رفعت يدي اليهم ! ولكن يجب أن أنزل لأحدثكم بالأمر .

ـ يبي .. يبي .. ابعد قدمك .. اجلس عندك .. يبي .. يبي ..

.. وقدماي تفسحان لنفسهما مكانا بين آلاف الأقدام .. وصيحات الاردراء !

.. حول المدرج ! وحدت الجنود يقفون في دائرة مدهولة تحملق في الكرة .

.. اقتربت من جندي عارق في الدهشة !

ـ هل تسمح لي بالنزول الى ارض الملعب لأمر مهم ؟

قال الجندي مشدوها !

ـ تفضل اشرب شاي .. اعتبر نفسك في بيتك .

شكرته وسرت .

.. في هذه اللحظة صاح جندي (ليس مدهولا) ! امسكوه .

.. ورأيت أكثر من جندي يسرعون نحوي .. وقفزت في « كورنر » .. لكن الحظ تدخل ! جرى لاعب بالكرة .. واودعها الشباك .. عندئذ فتحت آلاف الحناجر أبوابها .. وأطرحت كل مابجوفي من الغاز الناتج من عملية الاحتراق الشديد ... وتوقف الجنود مكانهم وراحوا يطردون الغاز خارج الملعب ..

اصبحت حرا .. على اذن أن اتقدم الآن بشجاعة .. لكن .. اللاعبون يعانقون بعضهم .. رأيت بعضهم يبكي .. وصفر الحكم ! ليكفوا عن البكاء ..

.. الآن تهيأوا للعب .. هذه لحظتي ..

.. تقدمت الى منتصف الملعب .. رفعت يدى امام كل هؤلاء الناس

ـ هاه .. انتم ، كفوا عن الصياح .. استمعوا الى قليلا ..

.. لكنهم لم يستمعوا .. ظلوا يصيحون .. فيها جون .. فيها جون .

..انجون يجب ألا يعطلنى عن الحديث اليهم .. صحت بأعلى صوتى مرة أخرى وانا أحاول أن أعطى صيحاتهم .

ـ اريد ان اتكلم قليلا معكم .

.. فى هذه اللحظة سمعت صفيرا حادا .. هز رأسى .. فرفعت اصبعى اشير اليها .

ـ انظروا قليلا .. انها هى الاخرى مسئولة .. ولو لعبت بها امامكم لتغيرت نظرتكم .

.. التقطت انفاسى .. واخرجت منديل لامسح عرقى .. لكنى لمحت جنديين يسرعان نحوى .. التفت الى الناحية الاخرى .. وجدت الحكم ـ من بعيد ـ يشير الى ..

.. تركت انفاسى تتعثر .. وادخلت المنديل فى جيبى .. واسرعت اتبعد بقدر ما استطيع عن متناول يدى الجنديين ..

.. اصبحت فى نطاق دائرة الكرة .

.. هناك لحظات يجب على الانسان أن يقرر فيها مصيره بسرعة .

قررت ان احتمى بها ..

... صحت فى الحكم .. والجنديين .. وآلاف الحناجر

ـ انتظروا قليلا .. سأعرض عليكم قضيتى .. عليكم أن تختاروا بين رأسى وبينها .. كل ما اريده ان تكون لكم فرصة لتجربتها .

.. صاحت وجوه كثيرة غاضبة

ـ اخرجوه .. اخرجوه

.. وتهيأوا للنزول الى أرض الملعب ليخرجوه بأيديهم .

.. صاح الحكم ، اخرجوه .. والا فليخرجوه بأيديكم .

.. المسألة الان محصورة فى كيفية الهروب من الشبكة ، الجنود يقتربون فى حركة كماشة .. ازددت بعدا عنهم .. اصبحت داخل أقدام اللاعبين .. صفر الحكم .

ـ اقذفوا به من فوق السور .. والا دهست الى بيتنا .

.. اصبحت وحدى تماما ، عقولنا عاجزة فى بعض الاحيان على صنع الدهشة .. امسكت بالكرة .. عاينتها .. نمت فوقها .

.. فى هذه اللحظة الحاسمة .. تبينت انى امسكت بزمام القوى ..

.. صفر الحكم .. اتجه نحوى .. رفع مساعداه العلمين .. اتجها نحوى

.. التف اللاعبون حولى ... وصل الجنود .. وبعض الناس الغاضبين .. احاطوا بى .

.. رفعت عينى فى عيونهم وجدتهم يبتسمون .

.. عرفت لماذا .. لأنى احملها فى يدى .

قال الحكم ، هات الكرة لنكمل المباراة .

قلت له ، استمعوا الى أولا .

قال الحكم ، ماذا تريد أن تقول بعجل .

قلت ، لا تتعجلنى .. الميزان فى يدى .

قال لاعب ، دعه يقول ماذا يريد .

قلت : يجب أن تعودوا ـ أولا ـ وتشتروا المجله .

.. في هذه اللحظة صاح صوت عبر كعجل البحر :

ـ أهو أنت ؟ .. لقد عطلتنا . أنت تقوم بحركة تخريب مقصودة رسمها لك رئيس التحرير بلا شك ـ هات تذكرتي .

... نظرت اليه .. وجدته المحرر الذي استقال من مجلتنا .

قلت : اسكت أنت .. كل سيجارك واصمت .

.. استمع الى نصيحتي على الفور : بدأ يأكل سيجاره في صمت .

قال الحكم : وماذا تريد ثانيا ؟

قلت : رأسي .

وقبل أن أكمل كلامي صاح رجل من المدرجات .

علقوها فوق المدرجات .

صحت فيه : لو فعلتم .. أنا الآخر ساحتقها .

واشرت الى الكرة .

قال الحكم : لا تهتم به ... مالها رأسك ..

.. لكن الجماهير عادت تصرخ من فوق المدرجات .. فاطبقت أصابعي على الكرة بتشنج .. قلت له :

ـ دعني احاطهم ..

قال : افعل ما تريد .. ولتنتهي .. نحن نريد الكرة فقط لتكمل المباراة .

قلت له : يجب ان اقنعهم بها .. يجب ان اقنعهم .. فقط لو يمكنوني من الكلام .

.. صحت أمام الجماهير : دقيقة واحدة من فضلكم .

.. تعالى الصفير .. علا على صوتي .. وعدت اقول .

ـ اردت ان اقول لكم : ان رأسي تساوي هذه الكرة .. لو تحرمونها مرة .. حرموها مرة .

صاح الناس : اخرجوه .. اخرجوه .. نريد الكرة .. نريد الكرة .. اعيدوا اللعب ..

.. ووجدت في عيونهم الشر .

.. جريت بالكرة .. اتجهت الى رئيس احد الفريقين :

ـ حاول أن تحرم رأسي بدلا منها .. اؤكد لك أن فريقك سيفوز .. فقط حرمها .. هز رأسه رافضا وابتسم .

.. جريت الى رئيس الفريق الثاني :

ـ وانت ؟ حاول أن تكون اكثر ذكاء منه اؤكد لك ان الحظ سيكون معك .

صاح لاعب متحمس :

ـ لماذا لا تجربها ؟

قال رئيس الفريق : لست ادري .

ـ هاتها ..

.. واحدها .. واندفع نحو الملعب .. وابتسمت وانا اضع الكرة مكانها فوق عمقي .

ـ جون ... جون .

... وارتفعت صيحات الآلاف تثقب سور الملعب .. فدخل الواقفون خارج السور بلا تذاكر .

... رأسي مع فريق اللاعب الذي اختارها .

... الفريق فاز حتى الآن باربعة أهداف .

... اصطدمت رأسي بشباك الفريق الآخر الذي رفض اللعب بها .. فاسرعها حارس المرمى من الشباك بعيدا .. اندفع باصابعه شعيرات من رأسي تساقطت .. فصرخت على اساسها من الألم .

.. ولكن أحد اللاعبين صوب رمية عنيفة اصابت مخي تماما فتناثرت محتوياته ورأيت اوراق الكتب العديدة التي قراتها تتطاير في الهواء ..

صحت : اوقفوا المباراة .. اوقفوا المباراة .. أوراقي تطير في الهواء ..

واسرعت أجمعها واضعها في جيبي .

.. انتزعت جسدي بصعوبة من تحت اكوام الورق .. ووجدت نفسي راقدا فوق ارض الملعب والدماء تترف مني .. تناط لاعبان الكرة مرة واحدة .. فسال الدم من جبهتي .. واخرجت منديلي ومسحته وتوجهت خارج الملعب .

ـ هل لك ان تساعدني يا سيدي الشرطي لاسترد رأسي ؟

.. لكننا عندما عدنا معا وجدت العشرات من الناس يحملون لاعبا يرفع رأسي بين كفيه ملوحا بها لهم .. فيصرخون في جنون ..

.. قال الشرطي لي :

ـ ماذا ستفعل ؟ رأسك مع الفريق الفائز ؟

قلت له :

ـ في الحقيقة أنا أشعر بالسرور .. لقد اثبت لهم ان رأسي في امكانها أن تقف مع الكرة وهكذا يكفي .